ماذا وراء سفر كلينتون في شبه القارة الهندية ؟؟ (١)

عطاء الرحمن الندوي

إن الرئيس الأمريكي بل كلينتون سيسافر إلى شبه القارة الهندية الجو السياسي موافقا فيها ، وذلك يكون في ٢٠ مارس ٢٠٠٠م ، وكان من المتوقع أن يرجع منها سالما وغانما بعد أن يقضي ساعات عديدة في بنغلاديش ، ولأجل ذلك تهتم الحكومة هذا السفر إهتماما بالغا ، حيث أنه رئيس للدولة العظمى في العالم الراهن ، ولذلك تعتبره حكومة بنغلاديش ضيفا كريما لها ، مع أنه إرتكب جريمة من أبشع الجرائم في عهد حكومته بل في القرن العشرين التي سجلها التاريخ ، كما لا يخفى على أحد من الرجال والنساء ، وعلى الرغم من ذلك كله فإنه حل مكانا مرموقا لدى عامة الناس وخاصتهم في العالم وتفتخر بقدومه شبه القارة الهندية بسبب منصبه، وهو يأتي إلى بنغلاديش المسلمة خلال هذا السفر التاريخي ، ويتحادث مع الحكومة وأصحاب الساسة عن العلاقة الدبلوماسية بين دولته وبين بنغلاديش ، ولأجل ذلك كان من الواجب على رجال هاتين الدولتين أن يكونوا نشيطين ومتحمسين على هذا السفر ، ولكننا نرى بأن اللوبيين الهنديين أصبحوا مشجعين ونشيطين أكثر مما فرح اللوبيون الأمريكيون في هذه البلاد ، وإن الجرائد اليومية اليسارية التي تبذل قصارى جهودها لتحقيق مصالح الهند الماكرة تنشر الأخبار التي لا تنسجم مع الحقائق والأرقام حول هذا السفر ، وتعتبره أسعد السفر في تاريخ القريب أو البعيد في شبه القارة الهندية ، وإذا كانت هذه الأنباء منسجمة مع الحقائق فستكون هذه البلاد أغنى الدول بالخزائن المعدنية والثروات الطبيعية من الذهب والفضة والنحاس والحديد والغاز والبترول والنفط في شبه القارة الهندية ، فقيل عن هذه الدولة : إن بنغلاديش عاصمة الغاز في آسيا الجنوبية وإن هذا الخبر يحرضنا على إظهار السرور والبهجة ، ومع ذلك كله لا يجد السرور إلى قلوب الشعب البنغالي المسلم سبيلا لأنهم يخافون على فقد وجودهم بنشر هذه الأخبار لأنها تحرض أعداء هذه البلاد على المكر والكيد لوضع أيديهم السوداء على خزائنها وعلى غرس الحقد في أعماق القلوب .

وما كتبنا هذه السطور إلا خوفا على السيطرة الهندية المجاورة لإستغلال خزائن هذه البلاد المسلمة بإستخدام القوى العالمية حينا وبإستخدام السماسرة الذين لا يفعلون شيئا إلا لأجلها في هذه البلاد حينا آخر ، وإن الله تبارك وتعالى جعل في هذه البلاد خزائن معدنية وطبيعية من الغاز والبترول والحديد في قعر الأبحار وفي الجبال الراسيات في المناطق الجبلية ، وإذا استطعنا أن نحافظ على هذه الخزائن الإلهية فتكون حياتنا حياة سعيدة وتنال البلاد حظا وافرا للتنمية والإزدهار في كل مجال من مجالات الحياة الفردية والجماعية ، ولكن هذه الجزائن أصبحت مصيبة لنا بسبب فقرنا وضعفنا ، حتى يتطلع إليها جميع القوى العالمية بنظرة خبيثة ، وتتحين الفرصة لوضع أيديها على خزائن هذه البلاد ، وتريد أن تستغلها بإتخاذ الحيل والكيد ، وإن زيارة كلينتون هذه البلاد لا تكون بعيدة من هذا الطموح ومن هذا المكر !!

وإن التاريخ يشهد لنا بأن حكومة بنغلاديش أرادت مرة أن تكون خبيرة على خزائن أرضها في قعر الأبحار وفي داخل الجبال الراسيات والغابات العميقة مع أنني لا أستطيع أن أذكر هنا بالضبط التاريخ والشهر واليوم والوقت لهذا العمل ، ومن له إلمام عن الظروف فإنه يدرك كل الإدراك عن هذه الإجراءات الحكومية ، وإنها أمرت المسؤولين أن يكونوا مطلعين على ثرواتها الطبيعية في باطن الأرض بإستخدام الوسائل التكنولوجية في تلك الأماكن ، ولكن من سوء حظها أن الحكومة الهندية تدخلت في شؤونها كما أنها تتدخل في كل أمر من أمور هذه البلاد سواء تتعلق بالقضايا الداخلية أو بالقضايا الخارجية ، فوقفت الهند حاجزة ومعوقة في تفتيش الخزائن الطبيعية في داخل البلاد مع أن دولة بنغلاديش دولة مستقلة ودولة حرة نالت الإستقلال من باكستان بعد حرب مدمرة وذلك في عام ١٩٧١م ، ولكن قوات الهند البحرية منعت بنغلاديش عن تخريج الخزائن من باطن التربة ، فما استطاعت حكومة بنغلاديش أن تحقق أهدافها بل فشلت تماما أمام القوى الهندية الظالمة وفي كسر هذه المعوقات والعثرات الهندية ، وكذلك أن الهند احتلت أرض البلاد (تال بتتي) رافضة جميع القوانين الدولية حتى يرفرف علمها فيها الآن بكل حرة مع أنها أرض بنغلاديش ، ولأجل ذلك يشعر الشعب البنغالي المسلم " من الخير أن تكون هذه البلاد فقيرة من أن تكون غنية بخزائن الأرض إذا ما استطاعت أن تملكها وتستفيد بها دولة مجاورة " حيث أنها تكون بالمرصاد في كل قضية من القضايا الداخلية والخارجية لتحقيق مصالحها ، وكما أنها تريد أن تستفيد بسفر كلينتون في هذه البلاد ، وتمهد السبيل للقبض على مناهل الغاز الطبيعية بالإغماض عن مستقبل هذه البلاد والشعب ، ولأجل ذلك فإن الجرائد اليسارية تنشر خبر السفر بكل قوة وبكل أهمية لتحقيق هذه الأهداف الخبيثة ، وتطلب المساعدة من أمريكا لإخراج خزائن الأرض ، وإن أمريكا قد اطلعت على أن بنغلاديش تملك خزائن كثيرة في الأرض ، كما أنها تعلم بأن الهند وبوتان ونيبال تملك الخزائن فيها بوسائل العلوم الحديثة ، ولأجل ذلك بأن أمريكا تريد أن تخرج الغاز من بنغلاديش ثم تصدرها إلى الهند ، والهند تفرح فرحا بتحقيق هذه الإرادة الخبيثة التي تكتم أمريكا في صدرها ، ولتحقيق هذه الأهداف فإن الرئيس كلينتون يزور هذه البلاد ، وإذا وافقت الهند وأمريكا على تحقيق هذه الأهداف الماكرة فكيف ترفضها حكومة بنغلاديش المسكينة ؟ حيث أن الحكومة

الحالية تقبل جميع الطموح للهند بسعة صدرها مع أن بنغلاديش تواجه المشكلات في الإقتصاد .

وكتبت هذه الجرائد المذكورة بأن كلينتون إخترع بنغلاديش مرة أخرى في بدائة هذا العام ، وهناك ينبعث سؤال كيف إخترع كلينتون هذه البلاد ؟ وأضافت الجرائد في الكتابة " إن كلينتون يعتبر هذه البلاد دولة مسلمة ولكنها ديمقراطية وليست متطرفة ومتشددة ، وهذه الشهادة الأمريكية تحمل أهمية كبيرة لدى المسلمين والمراقبين على الأحوال والظروف وعلى السياسة العالمية ، وما وقفت أمريكا على إصدار هذه الشهادة ، بل أنها قالت : إن بنغلاديش دولة تنير دول المسلمين الأخرى ، وإن أمريكا ماذا ترى عن الدول الإسلامية وماذا تخفي صدورها فتكشف حقدها عن المسلمين ودولهم بإصدار هذه الشهادة ، حيث أنها قالت : " إن بنغلاديش دولة مسلمة ولكنها ديمقراطية وغير متطرفة ومتشددة " وحكومة كلينتون كما تقول بإصدارها : " إن الدول الإسلامية الأخرى تربي المتطرفين والمتشددين فكلها بعيدة عن النظام الديمقراطي ، وإن دول المسلمين تحرض أبنائها على الأعمال الإرهابية والهدامة والتخريب ، وكلها ضيقة على الآخرين ، ولكن بنغلاديش دولة مثالية للأخرى في عين أمريكا " وإننا نعرف حق المعرفة بأن أمريكا أرادت قبل أعوام أن تعلن بنغلاديش كدولة إرهابية ومتطرفة أمام العالم ، ولكنها غيرت الآن في ظلمات الليل ؟ فلماذا هذا التغيير في إستراتيجياتها الخارجية بشأن بنغلاديش ؟ ونريد هنا أن نلتفت الأنظار إلى تلك الدول التي أصبحت دول متطرفة وأصولية بنظر أمريكا قبل أن نتكلم عن هذه الشهادة الأمريكية ، وهنا يدير سؤال في النفوس عن أمريكا ، وهو أن أمريكا تريد أن ترى دول المسلمين كدول ديمقراطية حقا ؟ وهل أنها تريد أن تحرض الحكومات المسلمات على رفض القوانين الإسلامية والشريعة الربانية والعادات الإسلامية والحضارية والثقافية الخاصة للإسلام والمسلمين باسم دولة ديمقراطية ؟ وتريد أن تقوم بالقضاء على القيم الإسلامية ومصالح الشريعة المحمدية باسم دولة غير متطرفة ؟ مع أنها تعرف أن الحكومة الراهنة (حكومة رابطة عوامي) كيف تظلم على الأحزاب المعارضة لترسيخ جذورها في البلاد ، وكيف تريد أن تستأصل جذور العقيدة والإيمان بالإضطهاد على رجال العلماء ودعاة الإسلام وإغلاق المدارس والمساجد وفرض الحظر على رفع الصوت بـ " أللـه أكبر " في مؤتمر أئمة المساجد في العاصمة ، فكيف أصبحت الحكومة غير متطرفة ومتشددة في عينها ؟؟ وهذا أمر مدهش ، وقصة هزلية لا تنسجم مع الحقيقة أبدا . وإذا أردنا أن نلتفت الأنظار إلى دول المسلمين التي تتمتع بالديمقراطية ، نجد على رأس قائمتها حكومة ماليزيا حيث أنها ما واجهت أي صعوبات في قوانينها الديمقراطية في تاريخها الطويل، ومع ذلك كله فإن كلينتون لا يعتبرها دولة ديمقراطية مستقلة ولا بدولة غير متطرفة وأصولية، لأنها ليست دولة ديمقراطية وحدها بل أنها دولة حرة لا تخضع أمام القوى العالمية ، وهي تلتزم اليقظة للمؤامرات الدولية ضدها ومطلعة على المؤامرات الغربية ضد الإسلام والمسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، ولأجل ذلك لا يقول كلينتون عن هذه الدولة : " إن دولة ماليزيا دولة ديمقراطية وغير متشددة " .

إن العالم الراهن يعلم بأن أمريكا تراعي مصالحها في كل قضية من القضايا العالمية ، ولأجل ذلك كانت تركيا دولة غير متطرفة في عينها ، مع أنها فعلت ما فعلت مع أبناء الإسلام ورجال الحركات الإسلامية بل تعتبرها كدولة تنير الطريق لدول المسلمين في العالم إلى المستقبل الباهر ، وما كانت بنغلاديش في هذه المنزلة وما كانت مستحقة لهذه الشهادة الأمريكية من قبل ، لأن كانت تركيا تدوس الشريعة الربانية والثقافة الإسلامية بأقدامها الخبيثة ، ومهدت السبيل لإجراء الحضارة الغربية على جميع البلاد ، بل فرضت الحظر على رفع صوت الأذان بالعربية في الإدارة الأتاتوركية ، وعلى الرغم من ذلك كله فإنها ما استطاعت أن تنال مرضاة أوروبا كاملة ، فلا ندري كيف نالت بنغلاديش هذه الشهادة من قبل القوى العظمى ، وماذا وراء هذه الشهادة الأمريكية ؟ وهل حكومة بنغلاديش وافقت على تحقيق إرادتها الخبيثة بإستئصال جذور العقيدة والإيمان من قلوب الأجيال القادمة شيئا فشيئا ، حتى تكون بنغلاديش تركيا أخرى ؟ ومن الحقيقة الواضحة لا تحتاج دولة من الدول الإسلامية لنيل مرضاة أمريكا أن تسلك طريق الإدارة الأتاتوركية ، ولا تحتاج إلى أن ترفض جميع القوانين الإلهية في كل أمور ، بل أنها تنال رضاء أمريكا بموافقة على توطيد العلاقة مع الدول المعادية للإسلام والمسلمين ، كما نراها في الدول الخليجية في هذه السنوات الأخيرة ، حيث أنها نالت رضاء أمريكا ولا تتحرك إلا بإشارتها وتشحن صدورها بشحن أمريكا ، وتقدم جميع التسهيلات لإستراح أربابها ، وهم اليهود والنصارى مع أن القرآن الكريم أشار إلى حقيقتهم بشأن الإسلام حيث قال بلسانه الخالد : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ وتنحي رؤوسها أمام أمريكا في كل قضية داخلية وخارجية وتطلب منها المساعدة الكاملة بتقديم أموالها البترولية والذهبية إظهارا لمطيعها وإمتثالها في كل أمر من الأمور مع أن أبناء الإسلام والمسلمين يواجهون الصعوبات والشدائد لنيل قوت يومهم ، وإن ماليزيا ما ضلت طرقها الديمقراطية من الخطط الحكومية منذ تأسيسها ، وعلى الرغم من ذلك كله أنها دولة مذنبة في عين أمريكا ، وإنها دولة آثمة لدى القوى العالمية حيث أن أمريكا مغمومة عن الدولة الخليجية ، حيث لا يستطيع أحد في هذه الدول المذكورة أن يرفع صوته ضد الحكومة ونظامها ، وإن أمريكا لا تفكر عن هذه الظروف القاسية التي يواجهها علماء الإسلام ورجال الحركات الإسلامية منذ نعومة أظفارهم فيها ، لأن هذه الدول تقدم إلى أمريكا ثرواتها كلها لإشباع كلابها ولإجراء رواتب قواتها الهائلة النازلة في الخليج ولإختراع الأسلحة الهدامة لكي تكون بطلة في جميع ميادين الحياة في العصر الراهن ، حيث أنها تعرف حق المعرفة بأن أمريكا تساعد الدولة الصهيونية الواقعة في قلب الدول العربية وتحرضها على السيطرة على دول المسلمين - لا قدر الله - .

البقية على ص - ٨

ويقابلهم (العصريون) الذين يريدون أن يجددوا كل شيء ، وهم الذين قال لهم إقبال : إن الكعبة لا تجدد ، وقال عنهم الرافعي : إنهم يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر ! وهنا كان الدور المبارك لندوة العلماء ، لتقوم بدور التوفيق بين الجانبين ، وتطعيم كل واحد منهما بعناصر من الآخر ، فقامت الندوة فحلت عقدة الصراع بين القديم والجديد ، بين الموروث والوافد ، بين الماضي والحاضر ، وجمعت بين التراث والعصر - أو بين الأصالة والمعاصرة ، كما يقال اليوم - ورفعت شعارات الجمع والتوفيق والوسطية التي أشرنا إليها .

ومن حسن حظ الندوة أن الله تعال هيأ لها - منذ تأسيسها - رجالا كبارا ، أقاموها على قواعد مكينة ، وأسس متينة ، لا تنهار بسهولة ، وقد كانوا كبارا في العلم ، كبارا في الفكر ، كبارا في الدين ، كبارا في الخلق ، كبارا في العزيمة والطموح ، ابتداء من العلامة شبلي النعماني ، والعلامة سليمان الندوي، والعلامة عبد الحي الحسني شقيق الشيخ ، إلى العلامة أبي الحسن الندوي ، كلهم قمم شامخة . هؤلاء الكبار كونوا تلاميذ لهم أشربوا روحهم ، واقتبسوا من ضوئهم ، وتخلقوا بأخلاقهم، فساروا على نهجهم ، فأنشأ الله تعالى بهم مناخا علميا إيمانيا متفردا في الندوة ، لا تجده في أي مدرسة أو جامعة أخرى ، كما أوجدت المعلم المؤمن برسالته ، المحب لمهنته ، المتجاوب مع طلبته . في المدارس والجامعات الأخرى قد تجد المنهج الجيد ، ولكنك لا تجد المعلم الجيد ، وإذا وجدته جيدا في الجانب العلمي تجده ميت القلب ، جامد الروح في الناحية الإيمانية والتوجيهية .

وهذا ما لاحظناه عندنا في قطر، فقد ألفنا في العلوم الشرعية كتبا جيدة في مادتها ومحتواها ، ولكنها لم تجد المعلم الذي يتفاعل معها وينقلها حية إلى الطلاب ، بل وجدنا ذلك الذي يميت المادة الحية ، ويلقي على حرارتها من ثلجيته ما يطفئ جذوتها ويجعلها رمادا . ولقد قدر لي أن أسعد بزيارة الندوة مرتين بعد ذلك : مرة عندما دعاني الشيخ لمؤتمر (المستشرقون والإسلام) في بلدة .... (أعظم كره) التي تضم (دار المصنفين) وكان معي الأخوان الكريمان : الدكتور عبد العظيم الديب ، والدكتور على المحمدي ، وقد أبى الشيخ وإخوانه إلا أن يشرفوني برئاسة هذه المؤتمر ، الذي استمر ثلاثة أيام ، وقد كان فرصة لزيارة محدث الهند العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي الذي زرناه في قريته التابعة لأعظم كره ، ولهذا نسب إليها الشيخ وقيل (الأعظمي) . وفي العودة مررنا بلكهنو وجددنا فيها الذكريات . والمرة الثانية عندما ذهبت بدعوة من الشيخ لزيارة لندوة العلماء لمدة أسبوعين ، لإلقاء محاضرات على طلاب دار العلوم ، والمعهد العالي للفكر الإسلامي ، وكانت فرصة ذهبية للعيش في هذا الجو العلمي الإيماني المحبب ، الذي يعيش المرء فيه بالله ولله مع الله ، ويتنفس علما وإيمانا ودعوة . ومن سوء حظي أن الشيخ أبا الحسن كان غائبا عن لكهنو وعن الهند في تلك الفترة في إحدى رحلاته المباركة، ولم نلتق به إلا في دهلي في آخر الزيارة في طريقي إلى ديوبند ، لحضور احتفالها المنوي المشهود ، وقال لي الشيخ : أخبرني الإخوان أنك سحرت العقول ، وأسرت النفوس ، قلت له : إنما أستمد من الله أولا ثم منكم . وقد تواصلت لقاءاتي بعد ذلك للشيخ بأسباب ومناسبات شتى ، التقينا في قطر في زيارة له ، أوائل ما أنشئت الجامعة ، وأسعدنا الشيخ بمحاضرة عن (دور الجامعة في تكوين الأجيال) .

ثم سعدنا به مرة أخرى في (المؤتمر العالمي للسيرة والسنة) الذي عقد في قطر ، في بداية سنة ١٤٠١هـ ، وكان مقدمة لاحتفال الأمة الإسلامية بالقرن الخامس عشر الهجري ، وقد أجمع المؤتمرون على اختيار الشيخ الندوي نائبا لرئيس المؤتمر . والتقينا به في (ملتقى الفكر الإسلامي) بالجزائر ، ونلتقي عادة في (مجلس المجمع الفقهي) برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ، حيث نشترك معا في عضويته. ونلتقي كذلك في (مجلس أمناء مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية) حيث نسعد برئاسة الشيخ لهذا المجلس . أما قلوبنا وأرواحنا فتلتقي دائما وأبدا ، في ظل الحب في الله ، وفي رحاب الإسلام العظيم ، الذي أكرمنا الله به ، وشرفنا بحمل رسالته ، وأعباء دعوته ، وهموم أمته . أسأل الله تعالى أن ينفعنا بحب الشيخ ، ويجعله خالصا لوجهه ، وأن يظلنا في ظله يوم لا ظل إلا ظله . آمين .

البقية المنشورة على ص -٩

لجاجتهم وقلة تبصرهم ، وتمردهم على الحق ، وإيذاءهم للدعوة بسلوكهم وأخلاقهم ، وهو مع ذلك يقول ما قاله الرسول ﷺ وهو جريح يوم أحد : (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) .

وما زال بأعدائه نصحا واشفاقا ، وما زال أعداؤه به كيدا وتمردا ، حتى قتلوه في الظلام وحيدا أعزل ، مجردا من كل قوة وجاه وأنصار و .... قتلوه وهم أقوياء وهو الضعيف ، وهم الحاكمون وهو المطارد ، وهم المسلحون وهو الأعزل ، وقتلوه وهم الأشقياء وهو السعيد ، ثم أصبحوا مطرودين من رحمة الشعب ، وهو مغمور برحمة الله ، وهم الآن مشتتون في ديار الغربة ، وهم الآن في رحاب الخلود ! رضي الله عنه . وأكرم مثواه وأجزل مثوبته .

البقية المنشورة على ص - ١١

وإن التاريخ يشهد لنا لا تحتاج هذه الدول إلى إجراء القوانين الديمقراطية لنيل مرضاة أمريكا بل يكفي لها تقديم ثرواتها الطبيعية إلى أمريكا ، وإظهار حقدها وبغضها مع رجال الإسلام الذين يريدون أن يعيشوا أحرارا من السيطرة الأمريكة ، ويريدون أن يضعوا عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم منذ زمان ، فلا ندري إن دولة بنغلاديش هل وقعت في هذه الشبكة الأمريكية الضالة التي نشرت في دول المسلمين الأخرى لإصطياد المسلمين الساجذين الذين يعيشون خارج خارطة الدولة الخليجية ، وإن الحكومة الراهنة هل رضيت بتقديم ثرواتها الطبيعية إلى الهند الخبيثة لنيل مرضاة أمريكا ؟ حتى أنها نالت هذه الشهادة ؟ ومن الممكن أن تتعلق هذه الشهادة بهذه المؤامرة الشنيعة ، والغيب عند الله ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غدا * وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ .

وللحديث صلة